هل كان شمسُ تبريزي إسماعيليًّا ؟

د. خالد محمد عبده(*)

1- مقدّمةٌ:

رغم آلاف الصفحات التي قد سُوّدت حول الرّومي
لم يكن هناك فعليًّا شيءٌ عن شمس
[محمد علي موحّد، مقالات شمس تبريزي]

تعبّر كلمة الأستاذ محمد علي موحدّ بصدق عن عدم التفات الدراسات العربية المعاصرة إلى شخصية شمس تبريزي، رغم الشهرة التي تحققت للرّومي وشمس باجتماعهما معًا، فلم يُعرف الرومي قبل شمسٍ إلاّ شيخًا وواعظًا متابعًا للتقليد الصوفي في عصره، متأدّبًا على نهج الصوفية السابقين، متلقّيًا العلم كأبناء عصره، دارسًا للشريعة، مربّيًا للمريدين. كذلك لا نعرف عن شمسٍ سوى النزر اليسير قبل لقائه بالرومي، وعثوره على ما كان يبحث عنه؛ إذ (كان المطلوب لستة عشر عامًا ينظر في وجه المحبوب، فأدرك الطالب بعد خمسة عشر عامًا أنه جديرٌ بالاهتمام)[1].

ولا ريب أن قلّة المعلومات عن شمسٍ كانت سببًا فيما اكتنف تلك الشخصية من غموض وإبهام، مما جعل الدارسين يخلطون بين شخصيات عدّة تحمل نفس الاسم، وينظر إليها بعين التقديس من قِبل المحبين، فصار شمس مرة صوفيًّا ومرة إسماعيلي المذهب والعقيدة، مستترًا ممارسًا للتقية، ومرةً سنّيًا شافعيًا، ومرة يُذكر

(*) أ. **خالد محمد عبده:** باحث متخصص في التصوف الإسلامي.

[1] : مقالات شمس تبريزي، ص 763، نقلاً عن فرانكلين لويس، الرومي ماضيًا وحاضرًا، شرقًا وغربًا– حياة جلال الدين الرومي وتعاليمه وشعره، ترجمة عيسى علي العاكوب، نشرة وزارة الثقافة، دمشق، 2010م ، ص 342.

(ISSN : 2536 - 9555)

باعتباره نموذجًا للتحول المذهبي، وتغيب ملامح الشخصية وسط هذا الكمّ من التخمين.

لذا رأيتُ أن أعملَ في هذه الورقة على مسألة بعينها، لم أر أحدًا من الدارسين– في حدود مطالعتي وبحثي– تناولها بالمناقشة والبحث، ألا وهي: **حقيقة شمس تبريزي ومذهبه**. وتدخل هذه المسألة ضمن اهتمامي بالتلقّي العربي للرومي والمولوية، الذي لا أزال منشغلاً به منذ أعوام خلت، محاولاً إعادة التفكير فيه والعمل على بعثه من جديد في صورة تليق بنا عربيًّا، كما كانت المدرسة المصرية تفعل في بدايات القرن المنصرم، وتابعها في عملها أساتذة أجلاء من سوريا والعراق والأردن وغيرها من البلدان العربية.

ولأن الدرس الغربي المبكر صوّر شمسًا في صورة أسطورية اعتمادًا على بعض المعلومات الواردة عند أفلاكي وجامي رأيت أن أعرض لآراء طائفة من المستشرقين ممن عُرف عنهم اهتمامهم بالدراسات الصوفية، والإسماعيلية، ومنا هنا أتينا على ذكر رأي نيكلسون وبراون ووليم تشيتيك وفرهاد دفتري وغيرهم. ثم اخترتُ نموذجًا لمن كتبوا عن شمس بالفارسية العلامة فروزانفر المحقق الأبرز لأعمال الرومي، وعطاء الله تدين من المعاصرين ممن تلقى كتبهم رواجًا في إيران وتحمل نزعة قومية ظاهرة، وتلا هذا النموذج الذي يتبنى المذهب الشيعي، نموذج لمقاربة أخرى تناولت الرومي والمولوية مرتكزة على الخلفية السياسية والأيديولوجيا من جهة، وعلى العلم الحديث من جهة أخرى، وهي مقاربة العراقية إحسان الملائكة، ثم ناقشت رأي الإسماعيليين العرب في شمس تبريزي.

2- **شمس تبريزي في مرآة الدرس الاستشراقي**.

مَنْ ذلك الرجلُ الذي تولّى تغييرَ الروميّ تغييرًا تامًّا؟

ليس لدينا الكثير الذي نعرفه عنه. والحكايات التي حيكت حوله تظهره كشخصية قويّة جدًا وعلى قدر هائلٍ من الاعتداد الرّوحي، وقد طوّف في بلدان

الشرق الأدنى بحثًا عن شيخ. ولم يستطع أحدٌ من صوفية ذلك الزمان أن يكون في نجوة من نقده اللّاذع. ويذكر هو نفسه في "مقالاته" أنه كان في وقت من الأوقات مريدًا لشيخٍ كان قد انصرف عنه أخيرًا :(كان في شيء لم يبصره شيخي، وعلى الحقيقة لم يره أحد قط؛ لكن سيدي مولانا رآه)[2].

تلخّص كلمة المؤرخ التركي للرومي والمولوية (عبد الباقي گلبينارلي) ما يعانيه الباحث حول هذه الشخصية من ندرة المعلومات عن شمس، وتطوافه وانتقاله في بلدان العالم الإسلامي، وقلقه واضطرابه، ونقده اللاذع للفقهاء والصوفية والعلماء السابقين، وتوقه للحصول على ما يشبع روحه الطامحة لعرفان وتصوف يختلف عما هو سائد في عصره.

وقد نبّهت **أنّا ماري شيمل** في آخر دراساتها (الشمس المنتصرة دراسة في حياة مولانا جلال الدين الرومي)[3] من مغبة الخلط بين (شمسين)؛ إذ يعرف أهل الهند شخصاً آخر بالاسم نفسه ينتسب إلى الطائفة الإسماعيلية، فيرتبط جلال الدين الرومي وشيخه الروحي شمس الدين التبريزي بتقليد روحيّ آخر: في مدينة مُلْتان، ضريحُ شخصٍ اسمه شمس تبريزي هو مزارٌ للمؤمنين. وفي أيّة حال، ينتمي البناء البسيط المزخرف بالآجر الأزرق والأبيض مع سَرْوٍ زيني إلى المبشّر الإسماعيلي الشهير (شمس تبريزي) بمرتبة أحد الشيوخ الخمسة "بنج بيري" [بالفارسية]، وهم مجموعة من خمسة أولياء ظلّوا زمنًا طويلاً محلّ توقير كبير في أجزاء من الهند

---

[2] : Gölpinarli, Mevlana, p 48

[3] : لاقت كتابات المستشرقة الألمانية أنّماري شيمل عن التصوف الإسلامي عناية من الأستاذ عيسى علي العاكوب، فمحاضراتها التي كتبتها عن الأبعاد الصوفية في الإسلام وألقتها على طلاّبها في هارفارد باللغة الإنجليزية، وأهدتها إلى أولياء شيراز، رأى ضرورة نقلها العاكوب، فعل ذلك مفتونًا بمدى موسوعية شيمل واطلاعها الوافر على جغرافية الشعراء وخريطة العالم الإسلامي الروحي، وكما اهتم بهذا العمل اهتم بعملها الضخم عن الرومي «الشمس المنتصرة أو الشمس الظافرة» وعكف العاكوب على نقله إلى العربية استمرارًا لخطته المعرفية في نشر (الأدب المؤدّب) كما يتجلى في تراث الرومي.

(ISSN : 2536 - 9555)

خاصّةً في وادي السند. ويعرفُ أدبُ السّندِ، الذي يخلط دائمًا بين معشوق الرومي والمبّلغ الإسماعيلي أساطير كثيرة حول شمس تبريزي[4]. لكنها تقطع بأنه على أية حال لا يمكن اعتبار شمس الإسماعيلي هو (شمس الرّومي).

ويصف **نيكلسون**[5] شمس تبريزي من خلال مطالعالته الأولى في ديوان شمس للرومي، بأنه شخصية غامضة تتدثّر بلبّاد أسود خشن، تضوي لحظة قصيرة على مسرح الحياة ثم تختفي فجأة وفي سرعة فائقة، والمعلومة التي من خلالها يرتبط اسم شمس بالإسماعيلية هي التي ترد على لسان نيكلسون بصيغة المبني للمجهول! يُقال: إنه من أبناء (جلال الدين) المُلقّب بلقب (نو مسلمان = المسلم الجديد) الذي كان زعيمًا للحشاشين. ويضيف نيكلسون قائلاً: «إنه كان إلى حدّ

[4] : راجع أنا ماري شيمل، الشمس المنتصرة، دراسة آثار الشاعر الإسلامي الكبير جلال الدين الرومي، ترجمه عن الإنكليزية وقدّم له وراجع مادته الفارسية الدكتور عيسى علي العاكوب، طهران 1379ش، 1421ق، ص 605–606.

[5] : يرى عبد الرحمن بدوي أن أعظم أعمال نيكلسون هو من غير شك نشرته لكتاب (المثنوي المعنوي) للشاعر الفارسي الأكبر مولانا جلال الدين الرومي، إذ ترجمه نيكلسون وشرحه وعلّق عليه في 8 مجلدات في الفترة (1925–1940) ونُشر ضمن سلسلة جب. وكانت هذه النشرة أول ترجمة إلى اللغة الإنجليزية مع التعليقات الملحقة بها. وبالفعل، فقد خصّ نيكلسون مولانا جلال الدين الرومي وكتاباته بعناية واهتمام كبيرين، وتم نشر عمله في إيران مرّات عدّة، وقام حسن لاهوتي بترجمة تعليقات نيكلسون إلى الفارسية سنة 1995م. وفي عام 1924م، قام نيكلسون بنشر الكتاب النثري لمولانا (فيه ما فيه). ومن أهم ترجمات نيكلسون أيضًا لكتابات مولانا جلال الدين الرومي ترجمته الشهيرة لديوان شمس تبريزي Selected Poems from the Divani Shamsi Tabriz. وفي عام 1931م، أخرج نيكلسون في مجلدتين ترجمة إنجليزية لمجموعة من قصص المثنوي مع بعض القصائد الأخرى. راجع في هذا الشأن: راجع على سبيل المثال: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط3 دار العلم للملايين، بيروت 1993م، ص 593. ونجيب العقيقي (المستشرقون) ص 525 وما بعدها، ط5، دار المعارف، القاهرة. ومقال عبد الوهاب عزام في مجلة الثقافة– عدد 365، في تأبين نيكلسون. و(محمد والقرآن في رأي المستشرق الإنجليزي نيكلسون) مجلة الأزهر، مج 32 – ربيع الأول وربيع الثاني 1380هـ، ج 3و4 – ص ص 352 – 356، ومقال أبي العلا عفيفي في مجلة الثقافة – 14 جمادى الأولى 1365هـ – العدد 381.

ما أميًّا، و لكنه امتاز بحماسٍ روحيٍّ شديد، مصدره الفكرة التي استولت عليه فجعلته يتخيل إنه مبعوث العناية الإلهية، وقد استطاع بواسطة ذلك أن يسيطر على كلّ من قدم عليه أو دخل في مجلسه. وهو من هذه الناحية ومن نواحٍ أخرى تتصل بحبّه المتّقد، وفقره المدقع، وموته العنيف، شبيه كل المشابهة بالفيلسوف «سقراط»، فكلاهما استطاع أن يفرض نفسه على أذكياء الناس بقدرته على تصوير أفكارهم البسيطة في تعبير فنيٍّ رائع، وكلاهما استطاع أن يكشف لنا عن خطل العلوم الظاهرة، وعن شدة حاجتنا إلى التثقيف والتنوّر وعن قيمة الحب في حياتنا، وأن الانفعالات الشاردة والتحديات الجاهلة للقوانين الإنسانية إنما تؤدي إلى فقد «الاتزان العقلي» و «السمو الأخلاقي» اللذين هما مقياس التمييز بين الحكيم و المريد»[6].

ويكتفي **براون**[7] بإيراد ما كتبه نيكلسون باقتضاب عن شمس وتاريخه ما قبل لقائه بالرومي، ولا نعثر في (تاريخ الأدب) على تعليق حول صحة هذه المعلومة التي تجعل من شمس إسماعيليًّا. والمصدر المعتمد عند براون في الحديث عن شمس ما بعد لقائه بالرومي هو **الأفلاكي**[8].

---

[6]: راجع إدوارد براون، تاريخ الأدب في إيران، الكتاب الثاني، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي، نشرة المركز القومي للترجمة، القاهرة 2005، ص ص 654-657.

[7] : إدوارد غرنفيل براون من أبرز المتخصّصين في الأدب الفارسي وكتابه تاريخ الأدب في إيران من أفضل ما كُتب في بابه. سافر براون في عام ١٨٨٧ إلى إيران وقضى عاماً بين الفرس كما يقول عنوان كتابه الذي سجل فيه ذكرياته ويعلّق الأستاذ عبد الرحمن بدوي على الكتاب قائلاً: (ومن هذا الكتاب يُستَشَفّ نفوذُه في فهم العقلية الفارسية وحماستُه للأدب والحضارة الفارسيين، كما نكتشف اتجاهات فكره المقبلة فهو لم يهتم بالفارسية بوصفها لغة، بقدر ما اهتم بها بوصفها أداة تحمل أفكار فارس وحضارتها). : راجع عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط3 دار العلم للملايين، بيروت 1993م، ص ص 51-53.

[8] : اشتهر الأفلاكي بكتابه (مناقب العارفين) وهو الكتاب السيري الأكثر طولاً وتفصيلاً في كل ما يتعلق بسيرة الرومي وآبائه الروحيين وتلاميذه ومريديه، ورغم أنه يقدّم معلومات مفصلة عن أشياء كثيرة في

(ISSN : 2536 - 9555)

لا يقدّم **وليم تشيتيك**[9] في كتابه الذي ترجم فيه إلى الإنجليزية قدرًا كبيرًا من المقالات معلومات تاريخية عن شمس[10]، لكنه يرى في مقال له أن: اسم شمس يألفه قليلٌ من الذين سمعوا عن جلال الدين الرومي، ونادرًا ما تكون معرفتهم صحيحة ودقيقة. فمعلوماتهم عنه تنحصر في وصوله إلى قونية، ومقابلته للرومي، وما أدّته هذه المقابلة من تغيير حال الرومي رأسًا على عقب [...] وبذلك يكون شمس قد لعب دورًا غير مباشرٍ في التاريخ الإسلامي. ومن هذه النقطة ينطلق **سيد حسين نصر**[11] بدراسته حول كتابات الرومي، التي بدأها

كتابه، إلا أن الأفلاكي تظلّ جوانب كثيرة من حياته غير معروفة عند المحققين والمؤرخين، فحسب ثاقب دده نعرف أن اسم الأفلاكي أحمد آهي ناطور، تتلمذ لبدر الدين تبريزي، وله سياحات ورحلات قطعها في سبيل تحصيل العلم، ويُقال إن أبيه كان يروي مناقب بهاء الدين ولد سلطان العلماء ووالد حضرة مولانا جلال الدين. راجع فرانكلين د. لويس، Rumi – Past and Present, East and West: The Life, Teachings, and Poetry of Jalâl al-Din Rumi – الرومي ماضيًا وحاضرًا، شرقًا وغربًا–حياة جلال الدين الرومي وتعاليمه وشعره، ترجمة عيسى علي العاكوب، نشرة وزارة الثقافة، دمشق، 2010م ص ص 492–512.

[9] : حصل وليم تشيتيك على الدكتوراه في اللغة الفارسية وآدابها تحت إشراف العلامة سيد حسين نصر، وخلال فترة إقامته في إيران درس على يد مشاهير العلماء الإيرانيين، من أمثال جلال الدين أشتياني، وغلام رضا اعواني، والعلامة سيد حسين طباطبائي، وتغطّي أبحاث تشيتيك مجالات واسعة من الدراسات الدينية المقارنة إضافة إلى دراساته الصوفية الهامة، كدراسته عن ابن عربي، ودراساته عن الرومي وترجماته لنصوص العرفان الفارسي، راجع مقدمة ناصر ضميرية التي ضمّنها نبذة تعريفية عن تشيتيك في ترجمته المنشورة (محيي الدين ابن عربي، وارث الأنبياء) نشرة دار نينوى، سورية، 2015، ص ص 11–14.

[10] : راجع William C. Chittick, "Me and Rumi: The Autobiography of Shams-i Tabrizi," 2004

[11] : سيد حسين نصر مفكّر إيراني، وأستاذ زائر في الجامعات الغربية: هارفارد وبرنستون وغيرها. له أكثر من 25 كتاباً وأكثر من 500 مقالة باللغات الفارسية والإنجليزية والعربية والفرنسية، وقد ترجمت مؤلفاته إلى العديد من اللغات، مثل الألمانية والإسبانية والعربية وغيرها من اللغات، وقد صدر حول سيرته العلمية كتاب تجاوز الألف صفحة ضمن سلسلة كبار فلاسفة التاريخ المعاصر (Library of

الرومي بعد لقائه بشمس وحتى آخر عمره، كتب نصر يقول: "لم يكن شمس مجرد معلّم صوفي للرومي. فجلال الدين بالتأكيد قد درس التصوف لسنوات عديدة قبل لقائه به، لكن يبدو أن شمسًا هو الرسول الإلهي الذي أظهر الحالة الروحية للرومي بهيئتها الشعرية"[12].

وقد نوّه أيضاً **فرانكلين لويس** إلى هذا الخلط في أمر، قائلاً: صورت الأسطورة شمساً فاتناً للجماهير ساذجاً، جوّالاً ممتلكاً طاقات خارقة، اختار الرومي اسمه ليكون بؤرة تدينه ابتغاء اختبار مريديه وتقديم شخصية أدبية لغزلياته. وهذه النظرة منعكسة في آثار جامي ودولتشاه وإلى حد ما الأفلاكي. وقد عكس الدرس الغربي المبكر هذه النظرة (الأسطورية المتأخرة) إلى شمس، إذ اعتقد براون أنّ شمساً كان الابن لجلال الدين نُو مُسلمان الذي قضى على فرقة الحشاشين[13].

ويستفاد من أخبار شمس التي يوردها **فرانكلين**[14] من خلال اعتماده على (مقالات شمس والأفلاكي) –بالدرجة الأولى– أن شمسًا لم يكن متعصّباً لمذهب من المذاهب الفقهية، فهو وإن تعلّم الفقه الشافعي وصار شافعي المذهب، كان

Living Philosophers) انظر (تأملات في الإسلام والفكر الحديث) مقال منشور على موقع طواسين http://tawaseen.com/?p=2091 .

[12]: انظر مقال وليم تشيتك، حقيقة شمس تبريزي، ترجمة شيماء ملا يوسف، موقع طواسين، على هذا الرابط: http://tawaseen.com/?p=1953

[13] : راجع فرانكلين (الرومي ماضياً وحاضراً)، ص 294.

[14] : في عام 1995 فازت رسالة فرانكلين د. لويس عن الشاعر الفارسي سنائي الغزنوي (من آباء الرومي الروحيين) بجائزة السنة لأفضل رسالة دكتوراه من مؤسسة الدراسات الإيرانية، ويعمل فرانكلين حاليًا أستاذًا للّغة الفارسية في قسم دراسات الشرق الأوسط وجنوبي آسيا في جامعة إموري في أطلنطا (أمريكا). في عام 1996 بدأ العمل بالبحث المضني الذي اكتمل بمؤلفه (الرومي ماضياً وحاضراً، شرقاً وغرباً – حياة جلال الدين الرومي وتعاليمه وشعره) الذي نُشر ليلقي تصفقيًا نقديًّا من كل الأكاديميين والقراء العاديين. ويصبح مرجعًا أساسيًا يعتمد عليه الباحثون من أمثال: ليلي أنفار Leïli Anvar في كتابها Rûmi–La religion de l'Amour.

(ISSN : 2536 - 9555)

يقول إنه لن يسمح لانتمائه إلى المذهب الشافعي بأن يقف في طريق قبوله الأشياء النافعة في أعمال أبي حنيفة. كان شمسُ شافعيًّا إذن –حسب المقالات– قارئًا على نطاق واسع في المتون الفقهية الأساسية، وهو يذكر تحديدًا واحدًا من المتون الفقهية الشافعية الرئيسة الخمسة كتاب (التنبيه في فروع الشافعية) لأبي إسحاق الشيرازي (تُوفي 1083) في حين كان الرومي حنفي المذهب.

إضافة إلى تأكيد المقالات على شافعية شمس تبريزي، هناك ما يشير لاعتناقه لمذهب السّنة، وتحديدًا الأشعرية، ورفضه لمذهب المعتزلة، ويدعم القول التالي هذا الترجيح: (هذا المذهبُ للسُّنةِ أقربُ إلى الأمر من مذهب المعتزلة؛ فذلك أقربُ إلى الفلسفة؛ من حفر بئرًا لأخيه وقع فيه)[15].

3- شمس في الدّراسات الإسماعيلية

أريد شخصًا من جنسي لكي أجعله قبلة وأتوجّه إليه لأنني قد مللت من نفسي. فهل تفهم ما أعنيه عندما أقول: إنني مللتُ من نفسي؟ والآن عندما جعلته قبلة [أي الرومي] يفهم ويدرك ما أقوله[16].

يؤكد **فرهاد دفتري**[17] في دراساته الإسماعيلية أن شمس الدين بن محمد ابن ركن الدين خورشاه (ت.1257/655) آخر حاكم لألموت وولي عهده المنصوص عليه، قرنته الروايات الإسماعيلية **الأسطورية** بشمس تبريزي المرشد الروحي للشاعر الصوفي العظيم جلال الدين الرومي، ويخبرنا أن هذه الشخصية

[15] : مقالات شمس تبريزي، ص 740، نقلاً عن فرانكلين، ص 411.

[16] : مقالات شمس تبريزي 162/2، نقلاً عن عطاء الله تديّن، ص 348. وقارن فرانكلين، ص 329.

[17] : فرهاد دفتري: تلقّى دفتري تعليمه في إيران وأوروبا وأمريكا، حيث حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة كاليفورنيا في بيركلي العام 1971. وشغل مناصب أكاديمية مختلفة ثم ارتبط، منذ العام 1988، بمعهد الدراسات الإسماعيلية ويعدّ اليوم المرجعية البارزة في الدراسات الإسماعيلية، راجع عنه: عمر علي–دي– أُونثاغا، قلاعُ العقل دراسات إسماعيلية وإسلامية تكريمًا لفرهاد دفتري، ترجمة سيف الدين القصير، نشرة دار الساقي بيروت، 2014، ص ص 15–55.

الإسماعيلية قد عاشت بصورة سرية في هيئة نقّاش؛ ومن هنا جاء اللقب الذي عُرف به وهو (زردوزر)، وبوفاة شمس الدين محمد حوالي (1310/710) حدث نزاعٌ بين أولاده على خلافته وكانت النتيجة أن انقسمت الإمامة والجماعة الإسماعيلية النزارية إلى فرعي القاسمشاهية والمؤمنشاهية المتنافسين[18]. وربما كان تطور العلاقات الصوفية–الإسماعيلية في بلاد فارس سببًا في هذا الخلط، فقد تطورت هذه العلاقات إلى درجة من التمازج والاتحاد بين الصوفية الفارسية والنزارية الإسماعيلية، وهذا ما يفسّر نظرة الإسماعيلين النزاريين الناطقين بالفارسية إلى كبار شعرا المتصوفة في فارس، كفريد الدين العطّار وسنائي الغزنوي وجلال الدين الرومي وغيرهم.

ويواصل الإسماعيليون النزاريون في فارس وأفغانستان وآسيا الوسطى استخدام قصائد شعرية لهؤلاء الشعراء وغيرهم من المتصوفة في العالم الإيراني في احتفالاتهم الدينية، يُضاف إلى ذلك أن النزاريين الفرس سرعان ما تبنّوا المظاهر البارزة في الحياة الصوفية. وظهر الأئمة للغرباء بصورة الشيخ الصوفي أو البير (= شيخ) بينما تبنّى الأتباع التسمية الصوفية النموذجية (المريد)[19].

احتجاب الشمس

في عام 2007 انتهى شفيق ن. فيراني من تأليف كتابه (صراع البقاء: الإسماعيليون في العصور الوسطى)، وفي هذا الكتاب يخصص فصلاً للحديث عن الإمام الإسماعيلي شمس الدين محمد، ويفسح مجالاً لمحاولة تبديد الظلال

[18] : راجع فرهاد دفتري، العلاقات الإسماعيلية الصوفية في فارس في عصر ما بعد آلموت، ضمن كتاب "الإسماعيليون في مجتمعات العصر الوسيط الإسلامية" ترجمة سيف الدين القصير، نشرة دار الساقي، بيروت 2008. وقارن "الإسماعيليون تاريخهم عقائدهم" لدفتري، ترجمة سيف الدين القصير، نشرة دار الساقي، بيروت 2012، ص 692–694.

[19] : راجع فرهاد دفتري، معجم التاريخ الإسماعيلي، ترجمة سيف الدين القصير، نشرة دار الساقي بيروت، 2016، ص 56، 57.

(ISSN : 2536 - 9555)

الكثيفة التي تحيط بشخصية شمس، معتمدًا على جملة من المصادر الإسماعيلية والدراسات الحديثة التي كُتبت حول (شمس تبريزي) كمقالة إيفانوف، وغيره من المستشرقين، وإذا كان الدرس الاستشراقي المبكّر كما رأينا تبنّى وجهة النظر التي تعتبر شمس تبريزي معلم الرومي أحد الإئمة الإسماعيليين، فكما رأينا فإن الدرس المعاصر أيضًا لم يدقق في هذه النسبة أو يمنحها مزيدًا من الاهتمام، مما يجعل معالجة فيراني ذات أهمية كبيرة، لذا سنعرض هنا لكيفية معالجته، وإلام انتهى في أمر هذه النسبة.

طبقًا لكتاب الآثار المحمدية وهو مصدرٌ متأخرٌ جدًّا أتمّه مؤلفه محمد تقي الدين بن علي رضا بن زين العابدين، عام 1893/1310 في مدينة محلات تم إرسال شمس الدين محمد إلى تبريز برفقة لأبيه شاهنشاه، ومارس شمسُ في تلك المدينة مهنة متواضعة فعمل فيها طرّازًا، ومن هنا كان لقبه (زاردوز) أي الطرَّاز.

ويجزم محمد قاسم (فيرشتا) المؤرخ المعروف من جنوبي الهند، والذي كان على اتصال كما يبدو مع أحفاد للإمام شمس الدين محمد، وكتب حوالي عام 1606/1015، يجزم أن ابن ركن الدين خورشاه كان معروفًا باسم محمد زاردوز، ولقبه شمس الدين[20].

يرى فيراني بناء على قراءة ما يرد في هذه المصادر الإسماعيلية أن إقامة شمس الدين محمد في تبريز قد تسببت في أن عددًا من المؤلفين راحوا يخلطون ما بين مسيرة الإمام الإسماعيلي وسيرة ابن بلدته وشبه المعاصر له شمس تبريزي، المؤدِّب الروحي للرومي، والذي اشترك مع الإمام في الاسم أيضًا. أول ما ظهر هذا الالتباس في تذكرة الشعراء لدولت شاه (انتهى من تألفيه عام 1487/892)، وكذلك فعل نور الله شوشتري (ت 1610/1091)، في كتابه

[20] : راجع شفيق ن. فيراني، صراع البقاء: الإسماعيليون في العصور الوسطى، ترجمة سيف الدين القصير، نشرة دار الساقي بيروت، 2014، ص 87، 88.

مجالس المؤمنين، الذي جعل شمس تبريزي مؤدب الرومي من ذرية الإسماعيليين.

بعض المصادر الإسماعيلية كرسالة (خير خواه) تجعل من مولانا جلال الدين الرومي حجة للإمام الإسماعيلي شمس الدين محمد، وتحتفظ باقتباسات شعرية من أعمال الرومي كما يُفترض ذلك، وفي حين نعثر على شواهد لهذه الأشعار في أعمال الرومي، فإن مصدرًا إسماعيليًّا كرسالة الصراط المستقيم تنسب أبياتًا للرومي لا نجدها في أعماله المعروفة كالمثنوي والديوان[21].

وتنكر مصادر إسماعيلية أخرى بشدة الربط بين شمس تبريزي الإسماعيلي ومؤدب الرومي، فالشيخ شهاب الدين شاه (ت 1884/1302) يكتب على سبيل المثال: (أيها المشايعون للحقيقة! اعلموا أنه بعد وفاة ركن الدين خورشاه، وصل جدّنا، كما ذكرت، شمس الدين محمد إلى تبريز واستقرّ فيها. وكي لا تصل معلومات حول وضعيته إلى أعدائه، ذهب إلى محل طرّاز وشغل نفسه بتلك الحرفة. ولم يمرّ وقتٌ طويل حتى أصبح يُعرف بشمس تبريز بسبب أناقته الفائقة وجمال وجهه وبهائه، الذي كان كالشمس. لكن يجب ألا نتخيّل أن شمس تبريز، الذي كان الملا رومي مريدًا له، كان هذا الشخص نفسه، بل إن شمس تبريز ذاك كان بالأحرى من تبريز في الأصل. واعتادوا تسميته بشمس تبريز بالطريقة نفسها التي يقال فيها سليمان بدخشاني أو إسماعيل هوناكيري)[22].

ويخلص فيراني بعد مناقشة ما ورد في المصادر إلى أن مسألة انحدار شمس تبريزي (مؤدب الرومي) من أئمة ألموت لا تزال مفتوحة، فضلاً عن اقترانه بالشيخ

[21] : السابق نفسه، ص 88.

[22] : السابق نفسه، ص 89.

(ISSN : 2536 - 9555)

الإسماعيلي من ملتان، الذي لا يزال مقامه القديم في تلك المدينة محطّ زيارات مسلمين من مختلف المذاهب باعتباره مدفن الرومي[23].

4- **صورة فارسية لشمس**:

أ- **عطاء الله تديّن وشمس تبريزي**

أحدُ المحققين المدققين في شأن مولانا جلال الدين الرومي قدّم إفادة لم تنل قبولاً عند عطاء الله تديّن في مؤلفه **(بحثًا عن الشّمس** – من قونية إلى دمشق)، محتوى الإفادة: "نعلم أن حياة شمس مغلفة بغلالة من الإبهام، وأن علاقة مولانا بهذا الرجل الطّاعن في السّنِّ إحدى أكثر الوقائع إثارة للعجب وانطواء على الأسرار). واعتبر عطاء الله أن هذه العلاقة ليست لغزًا فمتى ما طالع المرء بعناية معجزات وكرامات العشق ودقق في لطيفة العشق وتأمّل بشكل عرفاني أشعار مولانا لتبدد الوهم وكُشف الستر[24].

لكن ذلك لم يمنع عطاء الله من أن يصف شمسًا بكونه محاطًا بهالة من الغموض، ويكرر ما وصفه به سبهسالار في رسالته (شمس الدين محمد بن علي بن مُلْك داد، سلطان الأولياء الواصلين، تاج المحبوبين، قطب العارفين، فخر الموحدين، صاحب الحال والقال)[25].

ويؤرخ عطاء الله للقاء شمس بالرومي في السادس والعشرين من جُمادَى الآخرة من عام 642هـ، فقد لقيَ الرّومي في هذا اليوم في (خان تجّار السُّكَّرِ في قونيةَ درويشًا رثَّ الثياب، يقول بعض الباحثين إنه من نسل إسماعيلية قلعة أَلَمُوت، وكان يبدو أنه حادُّ الطّبْع. وأحسّ بنوعٍ من العشق الإلهي أو المحبّة

[23] : السابق نفسه، ص 90.

[24] : راجع عطاء الله تديّن، (بحثًا عن الشمس، من قونية إلى دمشق، جلال الدين الرومي وشيخه شمس تبريز)، ترجمة عيسى علي العاكوب، دار نَيْنوى، سورية، 2015، ص 549.

[25] : السابق نفسه، ص 414.

العميقة اللامتناهية إزاء هذا المعشوق المعنوي أو الرّباني. كان هذا الشيخ الرثّ الثياب شمسًا التبريزي، الذي كان ذا مشربٍ صوفيٍّ حادّ)[26].

يكتفي عطاء الله تدين هنا بنقل رأي أحد الباحثين، دون تسميته أو الإشارة إلى المصدر الذي حدد مذهب شمس، لكنه في سياق آخر لا يكتفي بالنقل، ويقرر في شأن شمس قائلاً: (يعلم شعبُ إيرانَ أنه شمسُ الدّين مُحمّدُ بن علي بن مُلك داد. وكانت أسرته من أهل تبريزَ، وله ارتباط من جهة النسب بـ(بُزُركَ أُميد)[27] الذي تولّى في المدّة بين 607 و618هـ الحُكمَ في قلعة ألَموت. نعم، هو من إسماعيلية ألموت. إنه رجلٌ عظيم القدر)[28].

ويعلّق عيسى علي العاكوب على قول عطاء الله تديّن السابق، قائلاً: (حُكمُ المؤلّف هذا متسرّعٌ كثيرًا. وقد أنكر بعض الباحثين المحققين ذلك، ومنهم الأستاذةُ المرحومةُ أنّيماري شيمل)[29].

لكننا لا نظفر بتعليق على تردد الكاتب وتناقضه فيما يسوقه من حوار على لسان جلال الدين الرومي، يرى فيه أن شمسًا ليس من الإسماعيلية: سأل أحدهم جلال الدّين البلخي: هل صحيحٌ أن شمسًا من نسل كِيا بُزُرْك أُميد، إمام الفرقة الإسماعيلية، وترك الآن المذهب الإسماعيلي؟ فكان الجواب (المتخيل) من قِبل عطاء الله تدين: هو مُسلمٌ، تلقّى تعليمَه الأوليَّ في تبريز، وسلك طريقة التصوف [....] وأعتقدُ أنه ليس مرتبطًا بالإسماعيليين، ولا بالفرق المختلفة، وعنده في شأن ماهية الوجود ووحدة الوجود آراءٌ جديدة، مستمدة من فكر ابن عربي[30].

---

[26] : السابق نفسه، ص 119.

[27] : هو أحدُ دُعاة الفرقةِ الإسماعيلية بمساعدته أخضَعَ حسنُ بنُ الصَّباح قلعةَ لَمْبسَر في مدينة رودبار ألَموت، ثم جعله نائبه. بعد كِيا بُزُرْك أميد، خلفه ابنه محمد منذ عام 538هـ.

[28] : السابق نفسه، ص 188.

[29] : راجع عطاء الله تديّن، ص 188.

[30] : راجع عطاء الله تديّن، ص 376، 377.

(ISSN : 2536 - 9555)

ب-بديعُ الزّمان فروزانفر وشمس تبريزي

بناء على تاريخ دخول شمس تبريزي قونيةَ عام 642هـ وتحديد عمره في ذلك الوقت (كان في سنّ السّتين) لا بد أن يكون شمسُ قد وُلِد في عام 582هـ. دخل شمسٌ قونية وهو شيخٌ طاعن في السن، حسب إشارة مولانا الرومي: (رجعتُ بسببك شابًا جميلاً سعيدًا . أي شمس الدين الطّاعنُ في السّنِ)، اعتمادًا على هذا التاريخ وما يقوله مولانا، وتأكيد كتب المناقب التي تعتمد على أسانيد قديمة لا يقبل العلاّمة فروزانفر ما يرد عند دولتشاه في تذكرته من كون شمسٍ ابنًا لجلال الدين حسن المعروف بـ(نو مسلمان = المسلم الجديد)، أو وُلد ما بين سنتي (607-618هـ)، فما يرويه دولتشاه لم تذكره أي من المصادر الأقدم عهدًا، كما أنه بنصّ المؤرخ عطا ملك الجويني لم يكن لجلال الدين حسن نو مسلمان ابنٌ آخرٌ غير علاء الدين محمد (618-653هـ)[31].

وكما ضعّف فروزانفر مرويات دولتشاه الأكثر ذيوعًا عن شمس وبدء أمره، ضعّف كذلك اعتمادًا على التدقيق التاريخي ما يُقال عن مرحلة تلقّيه وتعلّمه مبادئ الطريق الصوفي وصحبته لفخر الدّين العراقي، وعلى الرغم من كون الأفلاكي لا يحجم عن ذكر الأخبار الصحيحة والسقيمة جنبًا إلى جنب، إلاّ أن فروزانفر لا يستبعدُ هذا المصدر بشكل كامل ويستفيد منه في التأريخ لشمس والرومي[32] عارضًا مروياته على ما ورد في كتاب المقالات المنسوب إلى شمس،

[31] فروزانفر، من بلخ إلى قونية، ص 95.

[32]: ثمّة تعامل مختلف مع مرويات الأفلاكي، يلاحظه من يطالع سيرة جلال الدين الرومي التي كتبها فروزانفر، فإلى جوار مصادره الكثيرة عن الرومي نجد حضورًا لمرويات الأفلاكي من بداية السيرة إلى منتهاها، فيذكر في مقدمة كتابه أنه أدرج أكثر مطالب هذا الكتاب في تضاعيف السيرة، حتى أن القراء بعد مطالعة كتاب فروزانفر ليسوا بحاجة إلى قراءة المناقب، ويقول: (وحيثما لزم الانتقادُ لم أُحجمْ عنه) راجع فروزانفر، مرجع سابق، ص 29.

وما يقوله الرومي في المثنوي والغزليات، ومن هنا جاء قبوله لصحبة شمس ولقائه بأوحد الدين كرماني، وتاريخ وصول شمس قونية وتحديد الأماكن التي قام بها[33].

لا تحظى فكرة مذهبية شمس الإسماعيلية بمزيد من الدرس عند فروزانفر رغم كونه المصدر الأكثر تحقيقًا للرومي والمولوية، ولعل رصده لخطأ دولتشاه المتعلق بتأريخ ميلاد شمس ونسبته أنهى مسألة كونه من الطائفة الإسماعيلية.

5- **الإسماعيليون العرب**:

أ-الأمير عارف تامر وشمس تبريزي

ارتبط اسم عارف تامر [1921-1998م] بالدراسات الإسماعيلية العربية تحقيقًا للتراث وتأليفًا وتوضيحًا للصورة العربية عن هذه الفرقة، كان عارف قد اعتبر أن للرومي تاريخًا طويلاً في قونية، وعلاقة مباشرة بالإسماعيلية الباطنية وذلك في مقال نشره عام 1994[34]! لكنه كان قد تحدث عن **شمس** تبريزي **الإسماعيلي** بشكل أكثر وثوقية في مقال نشره في مجلة الأديب[35] عام 1956، معتمدًا على دولتشاه -دون إحالة مرجعية- فنعرف من تذكرة دولتشاه أن شمس الدين التبريزي (كان في صباه جميلاً رائعًا، حتى أنه رُبّي بين النساء غيرة عليه، ثم كثرت سياحاته وتنقلاته حتى لُقّب (بروانه) أي الفراشة)! وهذا النقل لا يفيدنا كثيرًا في التعرّف على شمس من وجهة النظر الإسماعيلية، وربما كان النقل الخاص بطريقة شمس في الوعظ والتعبير عن آرائه يتفق مع بعض النقولات

[33] : السابق نفسه، ص 101-102.

[34] : راجع عارف تامر، بين الإسماعيلية الباطنية والصوفية، مجلة الباحث، السنة الثالثة عشرة- العدد الثاني- 62 -نيسان - أيلول، 1994، ص 114.

[35] : راجع عارف تامر، صفحات من الأدب الفارسي (جلال الدين الرومي)، مجلة الأديب العدد رقم 3، 1 مارس 1956، بيروت.

(ISSN : 2536 - 9555)

الواردة في المقالات، التي تظهر فيها بعض الحدة التعبيرية وعدم الرضا عن خطاب الصوفية في عصره.

ينقل عارف تامر بتأكيد –لا نجد له شاهدًا في مقاله– أن شمس كان قويّ النفس جريئًا مؤثرًا في سامعيه شديدًا عليهم، يلقب من يعظهم أحيانًا بالثيران والحمير، وكان قليل الدرس فيما يظهر، ولكن ثورة نفسه واعتقاده أنه ملهم وأنه ينحدر من أعظم أسرة إنسانية كان يسحر من يلقاه. ثم يعتمد تامر في إظهار صورة شمس على ما يقوله المستشرقون (نيكلسون، وإدورد براون، وسبرنجر) مقتبسًا ذلك عن إدورد براون دون أن يحيل عليه[36].

من هو شمس تبريزي؟

يحدد عارف تامر ماهية شمس من خلال ما يورده إدورد براون في تاريخ الأدب في إيران، ويعتمد على مصدر إسماعيلي (مخطوط "فصول وأخبار" أخبار الإسماعيلية في فارس صفحة 312 وإذا أورد هذا المصدر شيئًا فهو راجح عند تامر، لأنه على حد قوله (ينطبق على الواقع، وإن كتاب "فصول وأخبار" هو أقدم مصدر تاريخي موثوق!).

والمعلومة التي ترد في هذا المصدر عن (شمس الشموس) الإمام شمس الدين لا تعطينا أي صورة جديدة عما سلف واقتبسه تامر عن دولتشاه، إذ يورد أن الإمام شمس الدين (التبريزي) قد خرج من (قلعة الكهف) مستترًا لما هاجم الظاهر المملوكي قلاع الدعوة الإسماعيلية السورية ثم عاد إليها بعد أن تمّ الصلح معه سنة 697هـ. وقد كان شمس مضرب الأمثال في الحُسن والجمال لا يمكن لأي إنسان أن يطيل التحديق فيه أو التكلّم أمامه، فصيح اللسان تجري الحكمة على

[36] : ينقل عارف تامر المعلومات الخاصة بشمس تبريزي عن براون، كما ينقل هوامشه نفسها في هامش مقاله السابق ويظن القارئ أن ما يرد في المتن والهامش من مطالعاته!

لسانه ويشيع من عينيه نورٌ غريبٌ يصلُ إلى القلبِ[37]، مات سنة 707 في بلدة قونيه ودُفن فيها.

ثم توسّع في مقالته أكثر في مجلة الدراسات الأدبية، التي تختصّ بشؤون الأدب الفارسي، ولم يعدد لنا مصادره التي اعتمد عليها، وغاية ما ذكر مرجع مخطوط لم يُطبع، يحتفظ هو بنسخته، كعادة أغلب أعماله، ولأن المجلة الأخيرة تعنى بالأدب الفارسي، فلا بد أن يكون للإسماعيلية نصيب من مشاهير الكاتبين بالفارسية، وكما نُسب ابن عربي إلى الإسماعيلية ميلاً واستفادة، لا بد أن يُنسب الرّومي إلى الإسماعيلية، عن طريق تلقّيه لتعاليم التصوف الجديدة من شمس تبريزي.

وفي تأريخه الموسّع[38] للإسماعيلية كتب عارف تامر عام 1991عن شمس الدين محمد الإمام الخامس والعشرين، ويعتبر هذا الإمام آخر أئمة النزارية الإسماعيلية في ألموت، وُلد هذا الإمام في ألموت 643هـ واستطاع أن ينجو من المغول، وعاش متنقلاً بين أذربيجان وتركستان وبغداد وحلب.. ثم أقام في **قونيه** فترة طويلة، وعُرف بأنه كان يمتهن مهنة التطريز، وكان وسيمًا بهي الطلعة حتى أطلقوا عليه اسم (الشمس) أما شمس التبريزي الذي ذُكر بأنه معلّم جلال الدين الرومي فهناك أقوال عديدة عنه. فالبعض يؤكد أنه هو نفسه الإمام شمس الدين بن محمد، والبعض الآخر يؤكد بأنه شمس الدين بن الإمام علاء الدين أي عمّ

[37] : لا يشير عارف تامر إلى المصدر الذي اقتبس عنه هذه الصورة لشمس، لكننا نرجّح أنه مصدر إسماعيليّ متأخر بناء على الاقتباس الوارد عند فيراني، راجع فقرة احتجاب الشمس من هذا البحث.

[38] : انظر عرضًا نقديًا قدّمه **رضوان السيد** للكتاب في مجلة الناقد اللبنانية العدد رقم 50، أغسطس 1992، بعنوان: تاريخ الإسماعيلية وكيف (لاينبغي) أن يُكتب؟ رصد فيه جملة من الأخطاء الكثيرة، وانتهى إلى أن كتاب الشيخ عارف تامر نموذجًا للأسلوب والنهج الذي ينبغي تجنّبه في الكتابة.

(ISSN : 2536 - 9555)

الإمام شمس هذا. وهناك من يذكر: أنه شمس الدين بن صلاح الدين من أهالي (سبزه) وكان من دعاة الإسماعيليين البارزين[39].

ب- مصطفى غالب والكتابة عن الرومي:

في عام 1982 ألّف **مصطفى غالب**[40] -وهو محقق اشتهر بنشره لنصوص التراث الإسماعيلي، وهو من أتباع قاسم شاه- كتابًا بعنوان (جلال الدين الرومي) ضمن سلسلة من الأعلام أصدرها في مؤسسة عز الدين ببيروت، كتب عن الرومي كما كتب عن الحلاج والسهروردي وغيرهم، ونركّز هنا على ما كتبه حول الرومي وشمس.

يخلو كتاب مصطفى غالب من المراجع العربية أو الفارسية أو الأعجمية، باستثناء أربعة مراجع تُذكر في هذا الكتاب، هي: المثنوي بترجمة الدكتور محمد عبد السلام كفافي، وكتاب كفافي عن جلال الدين الرومي وتصوفه[41]، والنسخة

[39] : راجع عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية، المجلد الرابع، نشرة رياض الريس 1991، ص 100-101.

[40]: أظهر مصطفى غالب اهتمامًا ضئيلاً بالكتابة حول معتقدات وممارسات آبائه وأجداده الإسماعيليين، وبدلاً من ذلك ركّز على تحقيق النصوص من الفترة الفاطمية أو الكتابة حول تاريخ فرع قاسم شاه (انظر على سبيل المثال كتابه تاريخ الدعوة الإسماعيلية، بيروت 1953). وراجع لمزيد من التفصيل حول التاريخ الحديث للإسماعيليين النزاريين في سورية: فرهاد دفتري، تاريخ الإسماعيليين الحديث الاستمرارية والتغيير لجماعة مسلمة، ترجمة سيف الدين القصير، نشرة دار الساقي بيروت، 2013، ص 69.

[41] : يعتمد مصطفى غالب على نشرة مثنوي مولانا جلال الدين الرومي، شاعر الصوفية الأكبر، الكتاب الأول، ترجمة وشرح ودراسة للدكتور محمد عبد السلام كفافي، نشرة المكتبة العصرية، بيروت، 1966على أنه قد جددت جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا نشر كتب كفافي عام 2009 واحتفت الجامعة به، فأصدر مركز تحقيق التراث العربي، التابع للجامعة كتابًا تذكاريا عام 2012 بعنوان: محمد عبد السلام كفافي. رحلة الإبداع والعطاء ضمّ بين دفاته بحوث الندوة التي خصصت لإحياء ذكراه، كما سبق لرابطة الأدب الحديث بمصر الاحتفاء بكفافي، وسجّلت جريدة الأهرام المصرية بعض تفاصيل الاحتفال عام 2002، وأشارت إلى جهود شقيقته السيدة سعاد كفافي في بعث الحياة في مؤلفاته من جديد. وللتّعرف على جهود كفافي في خدمة التراث المولوي يحسن الرجوع إلى مطبوعات كفافي الصادرة

العربية من كتاب المؤرخ الإنجليزي إدوارد براون عن تاريخ الأدب في إيران، ورسائل إخوان الصفا. وعن الترجمة العربية للمثنوي وكتاب كفافي المذكور استطاع غالب أن يخرج كتابه الذي غلب عليه الخلط وعدم التنسيق.

يقول مصطفى غالب في كتابه: (ظلّ جلال الدين يعمل بالتعليم والإرشاد نحو أربع سنوات، وفي شهر رجب سنة 624 هجرية ... مرّ به شيخ كبير تظهر على محياه علائم الإجلال والاحترام، فرحب به وأجلسه بجواره... ولم يكن الشيخ إلاّ حدًّا من حدود الدعوة الإسماعيلية، يُعرف بشمس تبريز، فأخذه الرومي إلى داره، وبقيا معًا لا يفترقان مدة عامين، ولا يعلم أحدٌ كيف تحوّل الرومي بعد اجتماعه بشمس تبريز إلى إنسان آخر، اختلفت كلّ أحواله عما كانت عليه من قبل)[42].

يحيل غالب هنا على كتاب له بعنوان: أعلام الإسماعيلية، والكتاب ليس مرجعًا من المراجع التي تؤصّل معارفنا عن الرومي أو شمس، بل هو من تأليف غالب، ويحيل بعدها على كتاب مناقب العارفين للأفلاكي، ويبدو أنه سها فكتب اسم الأفلاكي (الخاكي)!

يعود غالب فيتحدث عن شمس والعلاقة الروحية التي ربطت بينه وبين الرومي، إذ هي علاقة لا يتوصّل إليها إلا من سبر أعماق شمس تبريزي وعرف مناقبه الروحية السامية[43]، وفي عودته تلك لا يحيل على أية مراجع تفيد القارئ وتجعله يتبين حقيقة شمس.

في الجامعة، ففي مقدّمة الجزء الثالث من المثنوي، ترجمة كفافي، بقلم أخيه المهندس: جمال كفافي حديث مفصّل عنه، نشرة دار الشروق بالقاهرة، ص ص 61، 62، وراجع أيضًا: مقدمة الديوان (من إبداعات الصبا)، نشرة جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا، 2009، ص3، والجزء الثالث من مثنوي الرومي، ترجمة كفافي، نشرة دار الشروق، القاهرة 2001، ص 8.

[42] : راجع مصطفى غالب، جلال الدين الرومي، نشرة مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1982، ص 15-16.

[43] : السابق نفسه، ص 25.

(ISSN : 2536 - 9555)

في الصفحات [34–44] يخصصها غالب للحديث عن مصنفات الرومي، وكعادته لا يحيل على أي مرجع يوثّق ما يقوله من معلومات، أو ما يذكره من أشعار– على كثرتها– ويعدد مؤلفات الرومي على النحو التالي: (المجالس السبعة– الرسائل– فيه ما فيه– الرباعيات– ديوان شمس تبريزي– المثنوي) مكتفيًا بإشارة سريعة لا توضّح هل طالع هذه المؤلفات أم لا وهو يكتب كتابًا عن الرومي؟! ولا يظهر من حديث غالب أنه طالع شيئًا من هذه الكتابات باستثناء المثنوي، وتحديدًا الترجمة الجزئية التي قام بها كفافي، ولا تظهر ترجمة للمثنوي أخرى طوال صفحات كتابه، فلم يطالع مثلاً ترجمة الدسوقي شتا ولا ترجمة الجواهري، مما يعني أنه لم يطلع على المثنوي في صورته العربية التامة نظمًا أو نثرًا. وإذ يخصص غالب عشرة صفحات للحديث عن مصنفات الرومي، فإن أغلب الصفحات انصب اهتمامه فيها على المثنوي، مقتبسًا أغلبه عن كفافي.

في الصفحات [45–49] ينقل لنا غالب قصة من قصص المثنوي بعنوان: (قصة البقال والببغاء) دون مقدمة أو تمهيد لماذا يختار هذه القصة ويكتفي في الخاتمة بقوله: (هذه الحكاية الرمزية الحقانية قُصد من ورائها النصح والإرشاد إلى عدم الأخذ بالقياس، والعمل بما يقيسه بعض الفقهاء)! وتتلو هذه القصة قصة أخرى أكبر ينقلها غالب في الصفحات [50–76] عن الجزء الثاني من المثنوي، وهي قصّة الأسد والوحوش، ويكتفي غالب بعد أكثر من خمسة وعشرين صفحة نقل للقارئ فيها قصة تتحدث عن أمور شتى تخص الإنسان وسعيه وحياته بأن يعلّق في سطرين أن (مثل هذه الحكايات الرمزية تهدف إلى تجسيد الأفكار ومعالجة بعض الأمور الخطيرة التي تجري على مسرح العالم الإسلامي عن طريق الرموز والإشارات والكنايات!)[44].

[44] : السابق نفسه، ص76.

ثم يذكر غالب قصة من قصص رسائل إخوان الصفا، دونما إشارة للرابط بين هذه القصة وما ينقله عن مثنوي مولانا، وما إن ينتهي النقل يبدأ المؤلف بنقل جديد، والنقول الواردة في الكتاب على النحو التالي:-قصة التاجر والببغاء ص [84-92]، وقصة الأعرابي وزوجته ص [93-110].

بعد ذكر القصص يشير مصطفى غالب إلى صلة الرومي باللغة العربية وينوّه بأهمية أشعاره التي قرضها بالعربية وآثاره النثرية ويقدّم نماذج من شعره بالعربية، تستمر هذه النماذج من ص 111، حتى ص 149. وقبل أن ينتهي الكتاب لا يقول غالب شيئًا بل يختم الكتاب بنقله لقصة أخيرة، هي قصة الصوفي وحماره من ص 149إلى ص 163، لينتهي الكتاب الذي لا تظهر له أية ملامح واضحة أهو اختصار للأشعار والحكايات؟! أم أنها شهوة المؤلف أن يعدد تآليفه؟!

6- **صورة عربية لشمس**

إحسان الملائكة وصائغ النفوس:

في عام 1983 (وهي في الثامنة والخمسين من عمرها) نالت إحسان الملائكة شهادة الدبلوم في اللغة التركية وآدابها من جامعة اسطنبول وانكبّت على ترجمة الأدب التركي، ثم انصرفت إلى توثيق تأريخ التصوف في تركيا بعد عودتها إلى العراق نهاية العام نفسه. وألّفت كتاباً عن مولانا جلال الدين الرومي، قدّمته في ذلك الوقت إلى دائرة الشؤون الثقافية في بغداد عام 1985 واعتذرت الدار عن نشره لكون العراق آنذاك في حرب مع إيران والرومي إيراني الأصل[45]! فلا يمكن طبع كتاب يدعم الفكر الإيراني، حدث هذا مع كتابات أخرى في الحقل الصوفي، بل إن بعض الكتب في تلك الفترة كانت تُطبع وتحذف منها فصول كاملة قبل طبعها لتتناسب مع سياسة الدولة العراقية. تم طبع الكتاب بعد وفاة الشاعرة في المركز الثقافي العربي عام 2015، وقد خلت هذه الطبعة من التنسيق والتدقيق،

[45] : راجع مقال **ملهم الملائكة، في رثاء الكاتبة العراقية إحسان الملائكة**، *دويتشه فيله/قنطرة 2010.*

(ISSN : 2536 - 9555)

ولعل الناشر غضّ الطرف عن جريدة المصادر والمراجع التي أشارت إليها الكاتبة في ثنايا دراستها ووعدت القارئ أنه سيجد ما يعينه على الاستزادة –إن أراد– بالرجوع إلى القائمة التي أعدتها عن الرومي والمولوية في الدراسات التركية.

انتفعت إحسان الملائكة من كتابات **شمس تبريزي**، واستفادت كثيرًا من كتابات العالم التركي عبد الباقي گلبينارلي، وتابعته في تحديد تاريخ ميلاد شمس 541هـ، ونقلت عن مقالات شمس ما يساعد القارئ على معرفة طفولته وصباه. ويظهر شمس في دراسة إحسان كقارئ لكثير من المعارف، دائم البحث عن العرفان، كثير الدّرس للفقه والفلسفة والكلام، ملتمس للجمال والكمال، باحث عن رفيق الطريق، والرفيق لا بد أن يكون من جنسه، فلا تصلح المرأة للرفقة في الطريق، وتعزو إحسان ذلك إلى (أن المرأة في القرون الوسطى، كانت محجوزة في خبايا سراديب الحريم، وقد فقدت إنسانيتها: تحوّلت إلى كائن لم تخلقه الحياة، وإنما شوّهته مجتمعات الطمعِ والبلادة، كائن عجيبٌ يقع ما بين الإنسان والحيوان)[46]؛ فكان على شمسٍ البحث عن رجل.

والسبب في أن شمسًا جوّاب آفاق ولا يستقرّ في مكان، دائم التنقّل بين البلدان هو انتسابه إلى (المذهب الإسماعيلي) لقد كان أجداد شمس من الإسماعيلية، لكن والده تبرّأ من هذا المذهب، وكانت الشام أحب المواضع إلى شمس لأنها تفتح ذراعيها للصوفية، وفي الوقت ذاته كانت مقرًّا لكثير من فدائيي الإسماعيلية، لا تقدّم إحسان إية أدلة على تنصّل والد شمس من الإسماعيلية أو تحيل القارئ على مصدرٍ يؤكد معلوماتها، وفيما نعلم أنها وحدها من بين الكتّاب العرب التي اقترحت لحل لغز شمس تحوّله المذهبي عن الإسماعيلية إلى عقيدة المتصوفة في قونية (أهل السنّة) فشمس بمجرد وصوله إلى قونية 641هـ لم يكن على المذهب الإسماعيلي، وسبب ذلك عندها أنه كان متصوّفًا، والإسماعيلية ضد المتصوفة،

[46] : راجع إحسان الملائكة، جلال الدين الرومي صائغ النفوس، ص 98.

والحياة وفقًا لتعاليم الإسماعيلية تتعارض مع حياة الصوفية؛ لحرص الإسماعيلية على متع الحياة[47].

تعود إحسان الملائكة مرّة أخرى للحديث عن مذهب شمس في سياق عرضها لمذهب جلال الدين الرومي، وهذه المرة تسوق جملة من كلمات شمس بلهجة عربية معاصرة[48] معتبرة أن شمسًا بناء على تلك الأقوال والآراء التي يسوقها في المقالات منتميًا من (الناحية الأيديولوجية، إلى الطائفة الإسماعيلية، وبما أن حسن بن الصباح زعيم الإسماعيلية وصاحب قلعة ألموت يُعدّ ضمن قائمة أجداد شمس، فإن صلة هذا بالإسماعيلية صلة دم أيضًا، أعني صلة قرابة، وربما يعطينا هذا تفسيرًا حاسمًا لحذره الدائم من الأرصاد، وإصراره على الطّواف في الأرض وعدم الاستقرار، ومن يدري، فربما كان مقتله نتيجة هذه القرابة بالفعل)[49].

تتناقض هذه النتيجة التي تصل إليها إحسان مع ما قالته سابقًا من كون شمسٍ (لم يكن على المذهب الإسماعيلي)، إضافة إلى كونها لا تعتمد في فرضياتها أو ترجيحاتها على مصادر أو مراجع تدعم طرحها. على عكس ما تفعله عند الحديث عن شمس بعد لقاء الرومي، ولعل هذا السلوك مرهون بشحّ المصادر عن شمس قبل اجتماعه بالرومي.

---

[47] : السابق نفسه، ص 98، 99.

[48] : نسوق هنا مثالاً على ترجمتها لبضع كلمات من (مقالات شمس): – أنت تُعلن أن عُبّاد الحجرِ والصّنم أشرارٌ، فلماذا إذن تتوجّه نحو الحجرِ وتجعله قبلتك في الصلاة لله.– خلاصة جميع وصايا الأنبياء: ابحث عن مرآة لنفسك، وما المرآة إلاّ الله! – لو نطقتُ بالصّدق وقلت الحقيقة لطردوني من جميع البلدان ولأقفلوا دوني جميع الأبواب.– اختلافُ أصحاب العقائد وتعارض أقوالهم لا سبب له غير عجز اللسان وتهافت اللغات.– أليس الزّنديقُ أشرف من المتظاهرين كذبًا بالإيمان والتّقوى؟ – رجل الله هو الذي يحرصُ على تقديم الجواب الشافي حتى للكلب المار أمام الدار.– أبناء عصرنا يفترون على النبيّ محمّد، بل على الله نفسه، فلا ترو أحاديث لا تعرفها! راجع إحسان الملائكة، جلال الدين الرومي صائغ النفوس، ص ص 180–186.

[49] :راجع السابق نفسه، ص 186.

(ISSN : 2536 - 9555)

الخاتمة:

يتضّح لمتابع هذا العرض لصور شمس تبريزي التي رسمتها الكتابات العربية والاستشراقية غموض هذه الشخصية واحتجاب كثير من المعلومات التي من شأنها أن تساعد الباحث في التعرّف على حقيقته، ورغم شح المعلومات وكثرة التخمينات من الدارسين، إلاّ أن بعض الصور تبدو غير موثقة ويعتمد الكاتب فيها على خياله ومذهبيته أكثر، يظهر ذلك على سبيل المثال في كتابة كلٍّ من **عارف تامر ومصطفى غالب**، فالمرجعية العلمية لكتابة أحدهما لا تتوفّر إلا نادرًا، ولا يمكن اعتبار ما وصلا إليه من آراء معبّرة عن حقيقة تاريخية، بقدر ما نلتفت إلى رؤية كل منهما كتعبير عن مقالة الإسماعيليين العرب في العصر الحديث عن شمس تبريزي.

إن ما يقوله **نيكُلسون** على سبيل المثال عن شمس له وجاهته، فالشخصية الغامضة تليق بشمس، وتشبيهه بأحد فلاسفة اليونان يمكن قبوله، لكن لا يستطيع المرء أن يطمئن إلى فكرة كون شمس تبريزي رجلاً أمّيًا غفلاً من المعارف والعلوم يعتمد على الحدس والإلهام فحسب، فنظرة لتعاليم شمس ومناقشاته واعتراضاته وآرائه في كتابه (المقالات) توضّح أن الرجل مطّلعٌ بشكل جيّد على ما كتبه الفلاسفة وعلماء الكلام والمفسّرون والأطباء والعرفاء، ويعتبر نفسه أهلاً للحكم على العلماء، يقول في مقالاته: (حدّثِ الناس على قدرِ أفهامهم، ولِنْ لهم على قدرِ صفائهم وانسجامهم. أمّا أنا فلا شأن لي في الدّنيا، وفي قونيةَ خاصةً، بالعوامّ، لم آتِ من أجل العوام. أختبرُ هؤلاءِ الأشخاص الذين يَعُدّون أنفسهم مُدرّسين ومعلّمين بحقّ، أؤاخذُ الغلاظَ القلوب المطّلِعين المُرائين، لا المُريدينَ المُحبّين).

ويقول في سياق آخر: (إن في الطّبيعةِ أسرارًا خفيّةً لا يمكنُ فهمُها بالمنطقِ والفلسفةِ والرّياضيات والكيمياء. هذه الأسرارُ وراء العُلُومِ. والكُمَّلُ والعارفون هم

وحدهم الذين سيطلعون على هذه الأسرار، فأسرارُ الطّبيعةِ لا يمكنُ تعليمُها لِكُلِّ غِرٍّ غير ناضجٍ)[50].

ويعترض على أحد المتكلمين مستبعدًا ما يُقال عن ذات الله وصفاته من هؤلاء القوم، قائلاً: في يومٍ من الأيام كان أسدُ المُتكلّم يفسّر الآية الكريمةَ (وهو معكم أينما كنتم). وبرغم فضله الكبير، عندما كنتُ أسألُه عن شيء على الملأ كان ينفجرُ غيظًا. في يومٍ من الأيام سألته: عندما تقول: وهو معكم، أي إن الله معكم، كيف يكون اللهُ معكم؟ قال: أنت شخصٌ تافهٌ؛ أيُّ غرضٍ لك في هذا السؤال؟ ومثلما كان في الحلم كان في الغضب، كان ينفجرُ غضبًا. قلتُ: ما معناه؟ – ليس لي غرضٌ، فلم يرد على هذا السؤال. فأجبتُ: أنت كلبٌ معقودُ اللسان، طبعتَ نفسك على الإيذاء.

كيف تفسّرُ معنى (وهو معكم)، كيف يكونُ الله مع العبد؟

قال: نعم، الله مع العبدِ في العلمِ.

قلتُ: إن العلمَ غيرُ منفصلٌ عن الذّات وليس ثمّة صفة منفصلة عن الذّات.

فقال: أنت تسأل أسئلة قديمة.

قلتُ: وماذا تعني بالقديم؟ إنه سؤالٌ يموتُ الإنسانُ من جِدّته. والناسُ يقولون إن المتكلِّمَ هو هذا[51].

إن نقاشات كثيرة يمكن مطالعتها في كتاب المقالات تجعلنا على يقين أن شمسًا ليس أميًّا[52] بالمعنى الدارج للكلمة من جهل صاحبها بالقراءة والكتابة

---

[50] : عطاء الله تديّن، ص 350.

[51] : فرانكلين، ص 318، 319.

[52] : توضّح **أنّا ماري شيمل** في كتابها أبعاد صوفية في الإسلام، وكتابها (وأنّ محمدًا رسول الله) فهم الصوفية لمعنى كلمة الأميّ، فالنبي مُحمّد الأمي تعني أنه لم يفسد قلبه بمآثر عقلية ظاهرية وكان وعاءً طاهرًا مثل جسد مريم العُذري، استحضر الصوفية هذا المعنى، فرأوا أن الشيخ الصوفي لا بد وأن تكون من مآثره كونه أميًّا مثل النبي، فالنبي نموذج المحبة والتسليم الخالص ولا بد للشيخ أن يكون على خطى

(ISSN : 2536 - 9555)

والمعارف، ربما بشيء من التحفّظ نقبل بكونه أميًّا بالمعنى الصوفي، أي أنه لم يتلوث عقله أو تنشغل روحه بالمعارف الشكلية والظاهرية التي تحجب السالك عن الارتقاء وبلوغ الكمال الصوفي.

ويبدو مدهشًا بالنسبة لي ألا يقدّم **فرهاد دفتري** قولاً فصلاً في تاريخية شمس تبريزي رغم إلمامه بكثير من المصادر الإسماعيلية، وقد أظهر **شفيق فيراني** اهتمامًا أكبر منه كما رأينا في العرض السابق، إلاّ أنه ترك المسألة مفتوحة للنقاش رغم عودته إلى مصادر هامة تخص الدرس الإسماعيلي والدرس الصوفي على حدٍّ سواء، ورغم مطالعته لما كتبه إيفانوف عن شمس تبريزي.

إن أكثر معالجة تبدو فاصلة–رغم اختصارها ووجازتها– في شأن شمس هي ما قدّمها العلامة **فروزانفر**، ورغم اطلاع **عطاء الله تديّن** على عمله السيري عن مولانا لم يستفد منها وتضاربت المرويات التي نقلها للحديث عن شمس فمرّة يعتبره **تديّن** من الطائفة الإسماعيلية ومرة يعدّه غير ذلك، لكن فروزانفر بتدقيقه التاريخي فصل في المسألة فلا يمكن اعتبار شمسًا ابن للداعية الإسماعيلي الذي تنسبه المصادر الإسماعيلية المحدثة إليه، ويمكن التعويل بكثير من الاطمئنان على ما كتبه فروزانفر فلا نعرف شخصًا في العصر الحديث وهب عمره في درس الرومي وعاش أفكاره مثلما فعل فروزانفر، فقد حقق فروزانفر[53] مجموعة من الأعمال الأدبية الكلاسيكية الفارسية، عبر مقارنة النصوص بأقدم المخطوطات الأصلية،

النبي. لذا نرى الخرقاني يقول: «إن وارث النبي هو من يقتدي بفعل النبيّ، لا من يسوّد وجه الأوراق». وقد كانت هذه المسألة محلاً لنقاش في أعمال المؤتمر المنشور بعنوان: (الإسلام يسائل المسيحيّة في شؤون اللاهوت والفلسفة،، إشراف عادل ثيودور خوري، مشير عون، المكتبة البولسيّة، 2000.

[53] : للتعرف على المزيد من الجهود التي قدّمها فروزانفر، راجع مقال Les recherches Djamileh Zia contemporaines en Iran sur l'œuvre de Mowlawi ترجمته عائشة موماد بعنوان: الأبحاث المعاصرة في إيران حول أعمال جلال الدين الرومي، ونُشر في كتاب: الرومي بين الشرق والغرب، المحروسة، القاهرة 2015، ص ص 144–154 .

منها: كتاب (فيه ما فيه) و (ديوان شمس تبريز) لمولانا جلال الدين الرومي، وكان في طليعة الباحثين في الأدب الفارسي حيث تركزت أبحاثه في الأساس على علمين من شعراء الصوفية والأدب الفارسي: فريد الدين العطار وجلال الدين الرومي[54].

ويُعدُّ تحقيق فروزانفر للمثنوي من أجود التحقيقات، وأهم المراجع لدخول عالم مولانا، وقد أصدره في مؤلف بعنوان (شرح المثنوي الشريف)[55]. وحسب تصريحات توفيق سبحاني «باحث في أعمال مولانا»، يكفي أن نقرأ بعناية وتمعن الأبيات التي شرحها وعلّق عليها فروزانفر، وعددها 3012 لكي نفهم المثنوي بأكمله، لأن مولانا قد وضع مجمل أفكاره في الكتاب الأول.

قام فروزانفر كذلك بدراسة نقدية لشروح المثنوي المدونة خلال القرون السابقة: فقد ربط الشارحون القدامى أفكار مولانا بأفكار ابن عربي و صدر الدين الشيرازي، ولم يكن فروزانفر من المؤيدين لذلك، حيث يعتقد أن تلك الشروح قد ابتعدت كثيرا عن الفكر الصحيح لمولانا جلال الدين الرومي.

ألّف فروزانفر كذلك كتاب «أحاديث المثنوي» وهو كتاب جامع للأحاديث التي ذكرها مولانا في المثنوي، بينما كان كتاب «مآخذ قصص وتمثيلات مثنوي» عصارة جهوده في بحث استمر خمسة وعشرين سنة، حيث ضمّ قائمة بـ251

---

[54] : كان فروزانفر ينشد الأشعار بنغمة معبّرة وعاطفية، وكثيرًا ما كان شعرُ الرّومي يُفيض العبرات على عينيه، مُحدثًا نداوة تنتقل سريعًا إلى أعين طلاّبه مع إيقاعات إنشاده وتنغيمه، ويتذكر فروزانفر أنه سمع وحفظ عن ظهر قلب غزليته الأولى من غزليات الرومي في عام 1920، وتبدأ الغزلية بالبيت الشهير: تجلّ بوجهك فإن مُناي الحديقة وبستان الورد، وافتح شفتيك فإن مناي الوافرُ من الشّهد. راجع لويس فرانكلين، (الرومي ماضيًا وحاضرًا، شرقًا وغربًا – حياة جلال الدين الرومي وتعاليمه وشعره) ترجمة: عيسى علي العاكوب، طبعة وزارة الثقافة السورية، 2011، الجزء الثاني، ص 1020.

[55]: طُبع شرح فروزانفر في مطبعة طهران عام 1967، ويرى زرين كوب الذي ألّف هو نفسه شرحين للمثنوي، بأنّه لا مفسّر آخر في مقدوره حتى أن يداني فروزانفر، الذي كانت معرفته بالرومي واسعة إلى درجة أنه حين يضع قلمه تكون الكلمة الأخيرة قد قيلت.

(ISSN : 2536 - 9555)

حكاية وصورة مجازية، استعملها مولانا في المثنوي، وقد أضاف فروزانفر لهذه القائمة القصص الأصلية بالفارسية أو بالعربية، ثم مختلف الروايات الموجودة حول كل حكاية.

كما كتب فروزانفر كذلك كتابًا حول سيرة مولانا، تحت عنوان: «رسالة در تحقيق أحوال وزندگانى مولانا جلال الدين محمد مشهور به مولوى»[56] (رسالة في تحقيق أعمال مولانا جلال الدّين محمد، المشهور بالمولوي وحياته) والذي يعدّ من المراجع المهمة التي عدنا إليها في هذا العمل.

ومما يجعلني مطمئنًا لكون شمس ليس ابنًا لداعية من دعاة الإسماعيلية، أنه بنفسه يقرر في المقالات أن هوة شاسعة تفصل بينه وبين والده، فهو في طريق ووالده في طريق ثان، وهو ما يذكّرنا بأحوال كثيرين من الصوفية السابقين، فحين رأى شمس تبريزي قلق والده عليه حاول التخفيف عنه قائلاً: أنا أبدو مثلكم ظاهرًا، لكنني في الحقيقة مُباين ومختلف عنكم[57].

كان شمسُ عاجزًا عن إظهار كشوفه الصوفية لوالده، برغم أنه أراد ذلك، وكان يقول عن والده: (كان رجلاً طيّبًا ذا خُلق نبيل، سرعان ما تفيض عيناه بالدمع، برغم أنه ما كان (عاشقًا) أو عارفًا. وأن يكون المرءَ إنسانًا طيّبًا شيءٌ، أما أن يكون عاشقًا للحقّ فقصّةٌ أخرى تمامًا).

جعل عشق شمس الصوفي غير ميّال للطعام، ويحكي عن صباه وشبابه قائلا: (يُقال: إنه في صغري أُزيلت شهيتي، إذ كانت تمرُّ ثلاثة أيام أو أربعة من

---

[56]: نال فروزانفر درجة الدكتوراه عن إعداده لهذه السيرة التي بُنيت على مبادئ البحث العلمي الحديث، وقد نُشرت هذه الدراسة عام 1936م بالعنوان المذكور أعلاه. وفي عام 1990م تُرجمت هذه السيرة إلى التركية بعنوان: (مولانا جلال الدين Mevlana Celaleddin) بعناية فريدون نافذ أوزلوق، باستانبول. ثم تُرجمت إلى اللغة العربية بعنوان: (من بلخ إلى قونية– سيرة حياة مولانا جلال الدين الرومي)، بعناية العلاّمة عيسى علي العاكوب بدمشق عام 2006.

[57] : إحسان الملائكة، جلال الدين الرومي صائغ النفوس، ص 96.

دون أن آكل شيئًا، بسبب شيء قاله الله، لا الناس، كان أبي يقول: وأسفاه لولدي، يقول: إنه لن يأكل شيئًا. قلت: لكنّي لستُ ضعيفًا، أنا قويٌّ إلى حدّ أنني لو شئتُ أن أطير من النافذة لطرتُ مثل الطّائر. في كلّ أربعة أيام يغلبني شيءٌ من النعاس للحظةٍ، ثم ينصرف. لا تنزلُ اللقمةُ في حلقي.

ماذا حصل لك؟

لم يحصل شيءٌ. هل أنا مجنون؟ هل مزّقتُ ثياب أحد؟ هل وقعتُ عليك؟ هل مزّقتُ ثيابك؟

ألا تأكل شيئًا؟

اليوم لا آكل. غدًا – بعد غدٍ؟ في يومٍ آخر)[58]؟!

ويضيف شمسٌ: والدي لم يفهمني ألبتة، كنتُ غريبًا في مدينتي، والدي كان غريبًا عليّ، وكان يخشاه قلبي، كنت أظنّ أنه سيقع عليَّ، كان يكلّمني بلطفٍ، فكنتُ أظنُّ أنه يضربني، ويخرجني من البيت، كان والدي يسألني: ماذا حدث لك؟ أعرف أنك لست مجنونًا لكنني لا أفهمُ أي سلوك لديك!

إن كنت تتصرفُ هكذا مع أحبائك، فكيف ستعاملُ أعداءك؟

---

[58] : فرانكلين، ص 307، 308. يحكى أن شيخنا شمس الدين التبريزي قال في أحد الأيام: كنت في المدرسة ولم أكن بلغت سن الرشد بعد. كان يمرّ علي ثلاثون أو أربعون يوما دون أن أحس برغبة في الأكل، وذلك لحبي لمحمد (صلى الله عليه وسلم) بعد دراستي لسيرته. مناقب العارفين – أفلاكي "ترجمة عائشة موماد" عن النسخة الفرنسية.

On rapporte qu'un jour notre Maitre Chems- ed- din- Tébrizi dit: J'étais alors à l'école enfantine, n'ayant pas encore atteint l'âge adulte; trente ou quarante jours se passaient ou je ne désirais pas prendre de nourriture, à cause de l'amour que me causait l'étude de la biographie de Mohammed. Aflaki- Les sains des derviches tourneurs "Manakib Al Arifine" Traduit par Clément Huart

(ISSN : 2536 - 9555)

وعندما كان والد شمس يلّح عليه في السؤال: ماذا حدث لك؟ كان يجيبُ شمسٌ بأنهما لم يُقطعا من القماش نفسه.

يا ولدي، يقينًا لستَ مجنونًا، ولستَ أيضًا مرتاضًا، لا أفهمُ حقيقة تصرُّفِكَ وسلوكك، فما مشربُكَ الحقيقيُّ؟ فقلتُ:

–اسمع مني كلمةً واحدةً، إنّ حالَك معي تُشبهُ حال من وضعَ بيضَ طائرٍ مائي، كالبطِّ، تحت طائرٍ منزليٍّ، فحضنها الطائرُ الأهليُّ، ثم خرج منها صغارٌ من طائر البطّ. وقد كبِرتْ صغارُ البطِّ هذه، وذهبتْ مع أمّها إلى شاطئ نهرٍ، وألقتْ بأنفسها في الماء. أمُّها، الطائرُ المنزليُّ، تذهبُ إلى شاطئ النهر، ولكن لا قُدرة لها علي دخول الماء.

فيا والدي، اعلم بأنني أرى بحرًا صار هو مركبي. وهذا هو ظنّي وحالي: إذا كُنتَ أنتَ مِنّي، أو أنا منك، فادخل في ماء البحر هذا، وإلا فاذهب كما يذهبُ الطائرُ الأهلي.

ألقى والدي عليّ نظرةَ تعجبٍ وقال:

معي، أنا الحبيب، تفعلُ هكذا، ماذا ستفعلُ مع العدوّ؟

ويقولُ شمسٌ إنه تأثّر من كلام والده، وتأسّف لأنه لم يفهم حقيقة كلامه، ولم يعرف أيّة شُعلةٍ كانت تحرقُ وجوده[59].

مثل هذه الأقوال تظهر والد شمس في صورة عادية للغاية، فلا يعدو كونه رجلاً من العامة يصاب بالذهول والاندهاش من تصرفات ابنه، وأحيانًا يشك في جنونه، إنه لا يتفهم مطلقًا ما يعتريه من وجد أو ما يسير فيه من درب صوفي يبلغ به هذه الحال.

وفضلاً عن عدم قبولنا لكثيرٍ من المسالك في معالجة سيرة شمس قبل لقائه بالرومي، فإننا لا نقبل ما يُقال عن كون شمس شخصية خرافية خُلقت على يد

[59] : عطاء الله تديّن، ص 326.

الرومي، وهو رأي تم افتراضاته سابقًا في الدرس الاستشراقي الكلاسيكي، وأعيد إحيائه في العصر الحديث على يد بعض الأدباء العرب أمثال جمال الغيطاني[60]، من باب الفتنة بهذا الكائن الذي يتحدث عنه الرومي في الغزليات، فلا يعقل بالنسبة للقارئ أن يكون الشخص المكتوب عنه في الغزليات حقيقة إنه ليس موجودًا في دنيانا!

كذلك لا يمكن تجاوز خطأ تحسين عبد الجبار إسماعيل دون التنبيه عليه، فحينما ترجم تحسين مجموعة من المختارات من أشعار مولانا جلال الدين الرومي معتمدًا على النسخة الإنجليزية لكتاب (رومي الشعر والصوفية) لنيكلسون وسجّل في مقدّمته لتلك المختارات أن (شمس تبريزي) هو نفسه (ابن عربي)[61]! وهو اجتراح ليس له مستند تاريخي، كما أن رؤيته تتناقض مع فكرة شمس تبريزي والرومي عن ابن عربي، فابن عربي الوليُّ لم يكن مبجّلاً بالقدر الكافي عند شمس والرومي، وقد وجّه شمس في مقالاته نقدًا له ولأفكاره[62]، وكذلك

[60] : تحدّث الغيطاني عند ديوان غزليات شمس تبريزي الذي ألحّ على الأستاذ إبراهيم الدسوقي شتا أن يقدّمه للقارئ العربي مترجمًا، وفي سياق حديثه قال عن شمس: (ذلك الدرويش المجهول، والذي لم يرد عنه في كتب التراجم إلاّ إشارات سريعة وسطور قليلة، مما يدفعني إلى الشّك في وجوده أصلاً، وأنه ربما يكون من إبداع مولانا وثمرة لرؤاه). ويبدو رأي الغيطاني انبهارًا بما قرأه من أشعار مترجمة للرومي، لذا يعلّق على بعض كلمات مولانا قائلاً: (هل من المعقول أن ينشد مثل هذا الشعر من وحي إنسان محدود بالزمان والمكان؟ هل من المعقول أن تفيض هذه المعاني من أجل إنسان له اسم وتعيين، محدد، يجيء ويغيب؟ بالقطع لا، لذلك فإنني أكثر اقتناعًا أن شمس تبريزي ليس إلا وسيلة للتعبير عما هو أشمل، عن تلك المحبة الإلهية التي يفيض بها الإنسان). راجع جمال الغيطاني، مقال (مللت الوحوش وأبحث عن إنسان)، مضمّن في كتاب (رسول الشعر العرفاني جلال الدين الرومي) لسمير أرشدي، نشرة مؤسسة البابطين، الكويت، 2007، ص 75-77.

[61] : راجع (مختارات من قصائد جلال الدين الرومي)، ترجمة تحسين عبد الجبار إسماعيل، كتاب دبيّ الثقافية، الإصدار 79، 2013م، ص ص 19-24.

[62] : يتحدث شمس في مقالاته عن شيخ استفاد من دروسه ومقالاته وفي الوقت نفسه يوجّه إليه نقدًا لاذعًا لمخالفته للشريعة، يذكر شمس هذا الشيخ باسم محمّد، ويرجّح موحّد محقق مقالات شمس أن هذا

(ISSN : 2536 - 9555)

أُثر عن مولانا جلال الدين أنه رأى فتوحات زكي (المغنّي صاحب الصوت الجميل) خيرٌ من فتوحات مولانا ابن عربيّ المكّية ! ورغم تصريح الرومي بذلك فإن تلميذ ابن عربي (صدر الدين القونوي) ظلّ على مقربة من الرومي، حتى أنه في عُرس وفاة مولانا طُلب منه أن يؤم المصلين لصلاة الجنازة عليه، لكن الرواية تقول إنه خرّ مغشيًا عليه حينما طُلب منه ذلك.

كما لا يمكن التغافل عن توثيق سلطان ولد ابن مولانا لشخصية شمس تبريزي، وحديثه عنها في كتابه ولد نامة، هذا إذا تغاضينا عن ذكر بقية كُتّاب السير لشخصية شمس منفصلة عن ابن عربي[63]. فضلاً عن كون سيرة ابن عربي معروفة للجميع.

الشيخ هو ابن عربي، اعتمادًا على بعض المقتبسات عن المقالات التي يوردها أفلاكي، وفي الوقت نفسه ينصّ على تعيين (محمّد) المقصود (الشيخ محمد بن عربي في دمشق)، ورغم أن مصداقية أفلاكي كثيرًا ما كانت موضع شكّ، فإن فرانكلين يعتقد جريًّا مع موحّد أن الشيخ محمدًا هذا هو العارف الصوفي الشهير محيي الدين ابن عربي (ت1240)، مؤلف الفتوحات المكّية. راجع: فرانكلين، ص 320، 321. ويتابع شفيق فيراني في دراسته (صراع البقاء) فرانكلين في الشك في مصداقية الأفلاكي، راجع ص 90. ومن أمثلة نقد شمس تبريزي لابن عربي، قوله في المقالات: كان الشيخ محمد يسجدُ ويركعُ في أوقاتٍ كثيرة، ويقول: (أنا عبدٌ لأهل الشرع) لكنه ليس لديه متابعةٌ [للنبيّ]. كان لي منه استفادة كبيرة، ولكن ليس مثلما استفدتُ منكم. [الإشارة للرومي] ما استفدته منكم لا يشبه ما استفدته منه. شتّان بين الدّر والحصى ! لكن المريدين لا يدركون قدركم أبدًا، وهذا عجيبٌ، وفي النهاية يدركون ذلك، وأنتم غير مهتمين بأن تظهروا للمريد وغير المريد! بعضهم يحاول بألف طريقة أن يُظهر من نفسه شيئًا وبعضهم يحاول بألف حيلةٍ أن يُخفي نفسه. راجع فرانكلين، ص 321، 322 .

[63] : لا تشير كلود عدّاس في دراستها عن ابن عربي إلى لقاء تمّ بين شمس تبريزي وابن عربي، وإن أشارت إلى لقاء شمس بوسيط مشترك بينهما هو أوحد الدين كرماني، وتركّز عدّاس في إشارتها على انتقادات وجّهها شمس تبريزي إلى أوحد الدين كرماني، معتمدة على "نفحات الأنس" للجامي، راجع ابن عربي سيرته وفكره، ترجمة د. أحمد الصادقي، نشرة دار المدار الإسلامي، بيروت 2014، ص 360.